الروم

نسبهم

سميت الروم باسم جدهم، وهو روم بن عيصو بن إسحاق بن إبراهيم. وهم قبيلة عظيمة من ولد رومي بن يونان بن علجان بن يافث بن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ. وقيل: من ولد يافان بن يافث، وقيل: من ولد روعويل بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ [1].

موقعهم الجغرافي

مقرهم الشام[2].

صفاتهم

كفار، من أهل الكتاب. وهم جيل من الناس معروف: كالعرب، والفرس، والزنج، وغيرهم، والروم: الذين تسميهم أهل هذه البلاد الإفرنج. قال الإمام الواحدي رَحِمَهُ اللَّهُ: هم جيل من ولد روم بن عيصو بن إسحاق، غلب اسم أبيهم عليهم، فصار كالاسم للقبيلة، قال: وإن شئت هو جمع رومي، منسوب إلى روم بن عيصو، كما يقال: زنجي وزنج، ونحو ذلك[3].

---

(١). انظر: التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي (١/ ١٤٣٧).

(٢). انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١٥/٣٢٢).

(٣). انظر: تهذيب الأسماء واللغات: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (٣/١٣٠).

حياتهم

كانت الفرس والروم في ذلك الوقت أيام بعثة الرسول ﷺ من أقوى دول الأرض، وكان يكون بينهما من الحروب والقتال ما يكون بين الدول المتوازنة.

وكانت الفرس مشركين يعبدون النار، وكانت الروم أهل كتاب ينتسبون إلى التوراة والإنجيل، وهم أقرب إلى المسلمين من الفرس، فكان المؤمنون يحبون غلبتهم وظهورهم على الفرس، وكان المشركون يحبون ظهور الفرس على الروم. فظهر الفرس على الروم فغلبوهم غلبًا لم يحط بملكهم بل بأدنى أرضهم، ففرح بذلك مشركو مكة، وحزن المسلمون، فأخبرهم الله ووعدهم أن الروم ستغلب الفرس ﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ تسع أو ثمان، ونحو ذلك، مما لا يزيد على العشر، ولا ينقص عن الثلاث، وأن غلبة الفرس للروم، ثم غلبة الروم للفرس كل ذلك بمشيئته وقدره، ولهذا قال: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ﴾ [الروم:٤]، فليس الغلبة والنصر لمجرد وجود الأسباب، وإنما هي لا بد أن يقترن بها القضاء والقدر. ﴿وَيَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم يغلب الروم الفرس ويقهرونهم ﴿يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ﴾ [الروم:٤-٥]، أي: يفرحون بانتصارهم على الفرس، وإن كان الجميع كفارًا، ولكن بعض الشر أهون من بعض، ويحزن يومئذ المشركون. ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الذي له العزة التي قهر بها الخلائق أجمعين، يؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء. ﴿الرَّحِيمُ﴾ بعباده المؤمنين، حيث قيَّض

لهم من الأسباب التي تسعدهم وتنصرهم ما لا يدخل في الحساب. ﴿أَدْنَى ٱلْأَرْضِ﴾ [الروم:٣]: بلاد الشام والعراق، لأنها أقرب البلاد إلى مكة. ﴿وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾[الروم:٣]: من بعد ما غلبوا. ﴿فِى بِضْعِ سِنِينَ﴾ [الروم:٤]: البضع ما بين الثلاثة الى العشرة. ظاهر الحياة الدنيا: هو كل ما يشاهَد ويدرك بالحواس.

كانت الدولة الرومانية والدولة الفارسية أعظمَ دولِ العالم في عصر النبيّ ﷺ، وكانت الحروبُ بينما دائمة. وفي عصر كسرى أبرويز نَشِطت الدولةُ الفارسية، وانتصرت على الروم، واستولت على جميع ممتلكاتهم في العراق وبلاد الشام ومصر وآسيا الصغرى. يومذاك تقلصت الإمبراطورية الرومانية في عاصمتها، وسُدّت عليها جميع الطرق في حصار اقتصادي قاس، وعم القحط، وفشت الأمراض الوبائية. وأخذ الفرس يستعبدون الرعايا الروم، ويستبدّون بهم، للقضاء على المسيحية، فدمروا الكنائس، وأخذوا خشبة الصليب المقدس، وأرسلوها الى المدائن. وأراقوا دماء ما يقرب من مئة ألف من السكان المسيحيين. وأوشكت الإمراطورية الرومانية على الانهيار.

في هذه الحقبة كان المسلمون في مكة في أصعب أيامهم، وأشدّ مِحنتهم، وفي حالةٍ من الضعف والضنك لا يمكن تصوُّرها. وقد فرح المشركون بنصر الفُرس، لأنهم وثنيون مثلهم، وحزِن المسلمون باندحار الروم، لأنهم أهل كتاب. وقال المشركون شامتين: لقد غلب

إخوانُنا إخوانكم، وكذلك سوف نقضي عليكم، إذا لم تتركوا دينكم الجديد هذا.

﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [الروم:١-٤]. يقول المؤرخ البريطاني (جيبون) في كتابه (تدهور الإمبراطورية الرومانية وسقوطها) تعليقًا على نبوءة القرآن هذ: «في ذلك الوقت حين تنبأ القرآن بهذا لم تكن آية نبوءة أبعدَ منها وقوعًا، لأن السنين الاثنتي عشرة الأولى من حكومة هِرَقل كانت تؤذِن بانتهاء الإمبراطورية الرومانية»[1].

لما سمع أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هذه الآيات خرج إلى المشركين، فقال لهم: أفرِحتم بظهور إخوانكم الفرس، فوالله لتظهرنَّ الرومُ على فارس، كما أخبرنا بذلك نبيُّنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فقام إليه أُبيّ بن خلف، فقال له: كذبتَ. فقال أبو بكر: أنت كذبتَ يا عدو الله. اجعل بيننا أجَلًا أراهنك على عشر قلائص منّي وعشرٍ منك، فإن ظهرت الرومُ على فارس ربحتُ أنا الرهان، وإن ظهرت فارس ربحتَ أنت الرهان. ثم جاء إلى النبيّ عليه الصلاة والسلام فأخبره، فقال الرسول الكريم: زايدْه في الرِهان، ومادَّه في الأجلِ.

فخرج أبو بكر، فلقي أُبي بن خلف، فقال له: لعلّك ندمتَ؟ فقال: لا. فقال أبو بكر: تعالى أزايدْك في الرهان، وأمادّك في الأجل، فاجعلها

(١). (٧٤/٥).

مئة قلوص إلى تسع سنين. قال: قد فعلت. وقد قتل أُبي في معركة أُحُد. ولما ظهرت الرومُ على الفرس، واستعادوا بلادهم، وصدقت نبوءة القرآن، أخذ أبو بكر مئةَ ناقة من ورثةِ أُبيّ، وتصدّق بها، وهذا كان قبل تحريم الميسر[1].

العبر والعظات المستفادة

١. لله ﷻ الأمر أولًا وآخرًا، من قبل الغلبة، ومن بعد الغلبة، فكل ذلك بأمر الله وإرادته، فليس ثمة شيء إلا بقضائه وتقديره.

٢. غلبة الغالب، وخذلان المغلوب، بأمر الله وقضائه.

٣. علىٰ المسلم الفرح إذا وجد طائفة من المسلمين وإن كانوا متلبسين ببدعة أن يفرح لهم إذا حققوا انتصارًا علىٰ أعدائهم من اليهود والنصارىٰ.

٤. ألا يخذل المسلم أخاه وإن اختلف معه، ولو لم يكن علىٰ طريقته، طالما أنه علىٰ الإسلام ولم يخرج من دائرته.

---

(١). انظر: مرآة الزمان في تواريخ الأعيان: سبط ابن الجوزي، (٣/١١٦-١١٨)، وبهجة المحافل وبغية الأماثل في تلخيص المعجزات والسير والشمائل: يحيى بن أبى بكر العامري الحرضي، دار صادر، بيروت (١/١١٣).